الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية اللغات و الآداب
قسم اللغة و الأدب العربي

جامعة البويرة

Ministère de l'Enseignements Supérieur et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj
Tasdawit Akli Muhend Ulhaj – Tubirett -
Faculté des lettres et des langues

دراسة سيميائية لقصيدة المساء لخليل مطران

مذكرة لنيل شهادة الليسانس في اللغة و الأدب العربي

إعداد الطالبتين:

عشيط سلمى
معوج سامية

- إشراف الأستاذة:

رشام فيروز

السنة الجامعية

2014/2013

إهداء

أهدي ثمرة جهدي إلى أمي العزيزة الغالية

إلى أبي العزيز الغالي

إلى أخي الأكبر رضا

إلى أخي الأصغر رابح

إلى أختي شريفة

سامية

إلى من غمرتني بعطفها وحنانها أمي الغالية

إلى أبي العزيز

إلى أخوتي " أمين ،لبنى مروى،أميرة

إلى جميع أعمامي وخالاتي

إلى الأستاذة المشرفة" رشام فيروز"

سلمى

مقدمة:

لم يكن علم اليسمياء وليد العصر كما يزعم بعضهم، بل هو قديم النشأة فقد اهتم القدامى من عرب وعجم بهذا الجانب من علوم اللسانيات منذ أكثر من ألفي سنة، فما توصل إليه العرب من أفكار وتأملات سيميائية لم تكن سوى في إطار التجربة العلمية، والموضوعية وعليه: ما مفهوم السيميائية وما مدى تطبيقها على القصيدة؟.

فبحثنا هذا يدور حول السيميائيات، فقد عنونا هذا الأخير بدراسة سيميائية لقصيدة "المساء" للشاعر خليل مطران، فهذا الموضوع من اختيارنا، فهو من المواضيع التي بحثنا في دراستها، كما أن اهتمامات الطلبة تكون عموما في تطبيق الدراسة السيميائية على النص الروائي، ونحن قد اخترنا هذه القصيدة لحل الإشكاليات التي طرحناها سابقا.

فلقد اتبعنا خطة تتكون من مقدمة وفصلين، وخاتمة، كما أننا اتبعنا المنهج السيميائي، واستندنا في عملية التحليل إلى مجموعة من الكتب أهمها: رشيد بن مالك "مقدمة السيميائية للنقد"، ديوان خليل مطران وهو المصدر الذي أخنا منه القصيدة.

فقد تطرقنا في المقدمة لعرض النقاط المتبعة في البحث، ففي الفصل الأول تحدثنا عن السيميائية ومبادئها وأهم مدارسها واتجاهاتها وأخيرا السيميائية في النقد العربي، أما الفصل الثاني فهو دراسة تطبيقية لقصيدة "المساء" وتشمل عناصر القصيدة من مكان، زمان، شخصيات.

وتكمن أهم الصعوبات التي وقفت حائلا دون بلوغ هذا البحث المستوى العلمي المأمول قلة المراجع المتصلة اتصالا مباشرا بإشكالية وكذا صعوبة الموضوع.

وأخيرا شكرا كبيرا للأستاذة المشرفة التي ساعدتنا في إنجازنا هذا البحث العلمي بإرشاداتها ونصائحها.

الفصل الأول:

مدخل إلى السيميائية

1. المفهوم اللغوي والاصطلاحي للسيميائية.

2. مبادئ السيميائية.

3. المدارس السيميائية واتجاهاتها.

4. السيميائية في النقد العربي.

1-مفهوم السيميائية:

1-1 لغة:

تشير معاجم اللغة العربية إلى أن لفظة"**السيمياء**" مشتقة من الفعل"**سوم**" وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشر.

أما المعاجم العربية الحديثة فتشير إلى معاني أخرى غير العلامة منها:"البهجة،القيمة، الحسن" كما تشير دائرة المعارف الإسلامية إلى أن هذه الكلمة على أنها تعني السمة أو إشارة أو الإشعار[1].

وقد ورد في لسان العرب لابن منظور أن « (السومة)و (السمة) و (السيماء) و(السيمياء) العلامة، وسوم الفرس جعل عليه السيمة وقال غيره،المسومة بعلامة يعلم بها أنها ليست من حجارة الدنيا ويعلم بسيماها أنها عذب الله بها، الجوهري مسومة أي عليها أمثال الخوانيم ،الجوهري،السومة بالضم،العلامة التي تجعل على الشاة في الحرب ايضًا.

في حديث الخوارج سيماهم التعليق أي علاماتهم،و السيماياؤها في الأصل واو وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشر»[2].

قال تعالى:« تعرفهم بسماهم» سورة البقرة الأية 273،وقد تجيئ (السيما) و(السيمياء) ممدودين.

وأنشد الأسيد بن العنقاء يمدح عملية حين قاسمه ما له:

غُلَّام رَّمَاْه الله بالحُسْن يافَع*** له سيمياء لا تشق على البَصَر.

فنجد مثلا في قوله تعالى:«حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين»سورة الذريات الآية (33-34). بمعنى معلمة وقوله:«من الملائكة مسومين»أي معملين بعلامة،سورة أل عمران الآية(125).وقوله تعلى:«تعرفهم بسماهم»أي علاماتهم الذي يعرف بها الخير والشر،سورة البقرة الآية (273)، وقوله تعالى:«سيماهم في وجوهم من أثر السجود» أي علامات نورانية سورة الفتح الآية (29).

---

[1] – ينظر: محمد سالم سعد الله ،مملكة النص، التحليل السيميائي للنقد البلاغي، عالم الكتب الحديث،عمان الأردن،ط1، 2007، ص07.

[2] – ابن منظور،لسان العرب، المادة(ساوم)، دار ابن منظور المعارف، مصر،ط 4، 2005، ص 308،309.

ويقصد بـ " له سِيمِيَاَء لا تُشَق على البَصَر" أي يفرح به من ينظر إليه، وتعد مادة "سوم" وهي المكرسة أصلا لعلم العلامات، «فالسيمائيات و السيميائية وعلم السيمياء ترد كلها إلى الثلاثة،المعجمية"سوم" "سما"" وسوم".

الأولى: تحيل إلى السمو والاسم بمعنى العلو الرفعة أو التنوية والتوضيح**.**

الثانية: تشير إلى السومة والسمة.... والسيمياء بمعنى العلامة.

الثالثة:السمة،والوسم والوسام، و المسيم الأثر،فإذا حاولنا أن نربط بين أطراف هذه الثلاثة نتحصل على التقلبات المعجمية في صورها ألا وهي الاسم من "س و م" والسمة من "و س م" و السيمياء من "س و م"» [1].

« كما وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم خمسة عشرة مرة بين "سيماهم، مسومين، مسومة»[2].

1-2 اصطلاحا:

لقد شهد مصطلح السيميائية، إشكاليات عدة في النقد الغربي والنقد العربي،وذلك من خلال مصطلحين يدلان على العلم الذي يهتم بالعلامات، فالأول جاء **به "بيرس"** وهو**"السيميو طبقا"SEMIOTICS** والثاني جاء به "سوسير" وهو السيميولوجيا **SEMILOGY** وقد فصل بين هذين المصطلحين المترادفين، فأصبح الأول المستمد من الإنجليزية يهتم بالميدان الألسني في حين الثاني المستمد من الفرنسية أصبح يشير إلى علم العلامات.

ومكمن الاختلاف يعود إلى المنهل الذي أخذ منه، بمعنى إذا نقل من الفرنسية ظهر مصطلح "السيميولوجيا"، أما إذا نقل عن الانجليزية يشار إليه"بالسيميائية" هذا بالإضافة إلى وجود عدة ترجمات مثل علم العلامات، علم الدلالة، علم الأدلة، وعلم العلامة.

وإذا كان ظهور مصطلح السيميائية مقابل المصطلح الاجنبي **SEMIOTIQUE** فإنه مهما يكن شأن هذا الاختلاف فليس ثمة شك في أن جماع كل ذلك يمكن اختزاله بتحديد

---

[1] –يوسف وغليسي،منهج النقد الأدبي،جسور للنشر و التوزيع، المحمدية الجزائر، ط 1 ، 2007 ،ص114، 113.

[2] –محمد سالم سعد الله، مملكة النص،التحليل السيمائي للنقد البلاغي.

السيميائية من خلال تحديد المجال الذي تقوم عليه وهو العلامات **SIGN** فهي العلم الذي يدرس العلامات أيا ما كان مصدرها في إطار الحياة الاجتماعية **(1).**

وبهذا فإن مصطلح السيميائية حسب صيغته الأجنبية **SEMIOTIQUE** أو **SEMIOTES** يتكون من جذرين وهما:"**SEMIO**"و" **TIQUE** " إذا أن الجذر الأول الوارد في اللاتينية على صورتين وهما "**SEMIO**" و"**sema**" يعني إشارة أو علامة أو بما يسمى بالفرنسية **signe** " وبالانجليزية **sign** في حين أن الجذر الثاني علم كما هو معروف**(2).**

2-مبادئ السيميائية:

تبحث السيميائية عن المعنى،« وذلك من خلال بنية الاختلاف ولغة الشكل والبني الدالة،وهي لذلك لا تهتم بالنص ولا بمن قاله،وإنما تحاول الإجابة عن التساؤل الوحيد وهو كيف قال النص ما قاله؟.

ومن أجل ذلك يفكك النص ويعاد تركيبه من جديد لتحديد ثوابته البنيوية وهذا العمل يقوم على المبادئ التالية:

أ- **التحليل المحايث**: الذي يبحث عما يكون في الدلالة من شروط داخلية وإبعاد كل ما يعد خارجيا،أي البحث عن العلاقات الرابطة بين العناصر التي تنتج المعنى.

ب-**التحليل البنيوي:** لإدارك المعنى لا بد من وجود نظام من العلاقات تربط بين عناصر النص، ولذا فإن الاهتمام يجب أن يوجه إلى ما كان داخل في نظام الاختلاف الذي يسمى شكل المضمون وهو التحليل البنيوي.

ج . **تحليل الخطاب:** يعد الخطاب في مقدمة اهتمامات التحليل السيميائي الذي يهتم بالقدر الخطابية وهي القدرة على بناء نظام لإنتاج الأقوال على عكس اللسانيات البنيوية التي تهتم بالجملة»[3].

---

[1] ينظر: سامي عباينة،اتجاهات النقد العربي في قراءة النص الشعري، عالم الكتب الحديث، الأردن،ط1، ،2004، ص 307، 308.

[2] – نفسه ، ص 308.

[3] محمد السرغيني ، محاضرات في السيميولوجيا، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط2، 1987، ص 551.

2-1 أعلامها:

اشتهر منهم على غرار«"سوسير، شارل سندرس بيرس، رولان بارت،ياكبسون وامبيرتو ايكو، و جوليا كريستيفا و باريراهيد ستاين سميت وقد ربط بيرس بين المنطق والسيميو طيقا، إذ جعل "المنطق" في مفهومه العام اسما أخر لها »[1].

كما له كتابه عنوانه "كتابات حول العلامة"، ظهر قبل سوسير قفاية السيميائية عنده البحث عن الأنظمة الدالة في مختلف العلوم العقلية والإنسانية فهو يقول:« ليس باستطاعتي أن أدرس أي شئ في الكون كالرياضيات والأخلاق والجاذبية الأرضية والديناميكية الحرارية والبصريات والكيمياء والتشريح وعلم الفلك والنفس وعلم الصوتيات ومعلم الاقتصاد وتاريخ العلم والكلام .... إلا أنه نظام سيميولوجي»[2].

فرولان بارت مثلا هو « الذي مارس التحليل السيميائي على أكمل وجه ووسع مفهوم السيمائية ثم تشمل حتى دراسة الأساطير وقد زعم عكس سوسير أن اللسانيات هي الأصل وأن السيميولوجيا هي الفرع عنها ثم جاء بعده "جاك دريدا"،ونادى بضرورة قلب أطروحة بارت والعودة إلى رأي سوسير.

وقد بلغ بحث السيمياء أقصى امتداده بجهود كي يستبقا وجماعته" telqvel" باعتباره منهجية للعلوم الإنسانية ولذلك فتق الدراسون أنواعا مختلفة تدرج تحتها كالسينميائيات الطبيعية الكبرى... ومنهم كذلك الأمريكي بيرس الذي نهج منهجا فاسقيا منطقيا من السيميائية إطارا مرجعيا يشمل كل الدارسات ومنهم أيضا الفرنسي " تيرغارو" الذي يؤيد ما قاله سوسير،ومن الفرنسين أيضا "بريطو" و"مارتيني" ومن إيطاليا "امبرتو ايكو»[3].

---

[1] – رولان جادت، مبادئ في علم الدلالة، ترجمة محمد البكري، دار قرطبة للنشر الدار البيضاء، ط1986،1،ص96.

[2] –أعمال ملتقى الأدب الجزائري في ميزان النقد السيمائي والنص الأدبي، معهد اللغة والأدب العربي ،جامعة عنابة 1995، ص 10.

[3] – مارسيو واسكال ،الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، ترجمة حميد حمداني، دار إفريقيا الشرق، الدار البيضاء،ط1، 1987، ص 38.

3-المدارس السيميائية واتجاهاتها:

بعض العلماء يرى أن هناك اتجاهين رئيسين هما:

3-1-«الاتجاه الأمريكي:ورائده بيرس حيث نشأت المدرسة الأمريكية في الولايات المتحدة الأمريكية ، فهو الذي صنف العلامة ومنطقها وذكر أن العلامة وحدة تركيبية متكونة من ثلاثة أجزاء : الموضوع والرابط "الوسيلة" والمحمول"الممثل".

فالعلاقة بالنسبة للوسيلة هي ثلاث"كيفية،عينية،قانونية" أما العلاقة بالنسبة للموضوع فيقسمها إلى "الأيقونة،الشاهد،الرمز" ولقد كان معه كارناب و سيبوك».

3-2- الاتجاه الفرنسي: ورائدة" دي سوسير" حيث يعد الأب المعرفي لهذه المدرسة فقد أحدثت محاضراته في علم اللغة العام ثورة منهجية ومعرفية عرفت العديد من القضايا والمباحث المتعلقة باللغة بشكلها العام،ومن الذين ساروا على نهجه:"بوبزس،بريبطو،مونان رولان بارت»**.**[1]

وهناك اتجاهات فرعية يمثلها "غريماس وبوسكي وجوليا كريستيفا"، ويعرف أحيانا بمدرسة باريس، ومن أهم أعضائها "جوزيف كورتيس".

ويرى أخرون أن الاتجاة الروسي اتجاه رئيسي ثالث « وأن المدرسة الفرنسية يجب أن تقسم إلى فروع وهي كالأتي:

أ. سيميولوجيا التواصل و الإبلاغ:

فلقد ركز أنصار هذا الاتجاه على الوظيفة التواصلية معتبرة العلامة حركية قصدية والذي يقصد الاتصال بشخص ما أو إعلامه بشيء ما كما تهدف سيميولوجيا التواصل عبر علاماتها وأمارتها وإشارتها إلى الابلاغ والتأثير على الغير.

وبتعبير آخر تستعمل السيميولوجيا مجموعة من الوسائل اللغوية، وغير اللغوية لتنبيه الآخر والتأثير عليه عن طريق إرسال رسالته أو تبليغها إياه كما أن التواصل نوعان: "تواصل إبلاغي لساني لفظي"، و "تواصل إبلاغي غير لساني".[2]

---

[1] حنون مبارك، دروس في السيميائيات، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1987، ص 85.

[2] –جيرارد ولدال، التحليل السيميوطبقي للنص الشعري،ترجمة عبد الرحمان بوعلي، مطبعة المعارف الجديدة ،ط1، 1994، ص 11.

- **سيمولوجيا الدلالة:**

ولها عدة أشكال:« اتجاه "رولان بارت" الذي أوضح أن جانبا هاما من البحث السيميولوجي المعاصر،إنما مرده إلى مسألة الدلالة حيث تؤكد التجربة أنه بالإمكان إنتاج الدلالة وتحقيق فعل التواصل بواسطة الأنساق السيميولوجية اللغوية وغير اللغوية، ولعل هذا ما أخذ برولان بارت إلى أن يستند مهمة التواصل إلى أنساق اللغة وإلى الأشياء على حد سواء ، إذ يرى أنّ اللغة هي مؤول كل الأنساق ، ومن بين رموزه ميشيل آريفي، كلود كوكي» [1].

وكانت هذه من أهم المدارس التي تكلمت عن السيميائية واتجاهاتها المختلفة فلقد تضاربت الآراء بدرجة كبيرة جدا وبالرغم من اتساع مكانة هذه المدارس إلا أنها مازالت محتفظة بخصائص ومميزات تحكم مختلف عناصره وتطبع سائر أداوته الإجرائية والمنهجية [2].

4-السيميائية في النقد العربي:

4-1 الحركة السيميائية في الدراسات النقدية العربية المعاصرة:

لا تستطيع أن تقدم قراءة في مستقيل السيميائية في العالم العربي وعناصر إجابة إستشرافية للمستقبل، ما لم نعاين واقع البحث في الدراسات السيميائية الراهنة في ضوء المستجدات في الفكر الأوربي المعاصر الذي حقق قفزة نوعية على جميع الأصعدة.....

وستقصر دراستنا للحركة الناشئة في النقد العربي المعاصر على بعض العينات المأخوذة من الجزائر، سوريا، المغرب، تونس.

لوحظ اقتصاد البحث العلمي إلى الطابع التمثيلي فإن لهذه المشكلة اعتبارات عديدة منها: -انقطاع التواصل العلمي بين الباحثين العرب وفي أغلب الأحيان داخل البلد الواحد،وكان لهذا الوضع انعكاسات سلبية،حيث كثرت البحوث الفردية التي تعددت معها الخطابات النقدية واختلف في مقاصدها[3].

---

[1] مولاي علي بوخاتم، الدرس السيميائي المغاربي، ديوان المطبوعات الجامعية ،الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر،2005،ص 15.

[2] ينظر:فيصل الأحمر السيميائية الشعرية، جمعية الامتناع والمؤانسة، الجزائر ،ط1، 2005،ص 14.

[3] ينظر: رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، دار مجدلاوس للنشر و التوزيع، ط1، 2006، ص24.

ومع ذلك استطاعت « بعض البحوث في مختلف البلدان العربية أن ترقى بالبحث إلى أعلى درجة من التفكير والتمثيل الواعي والهادف إلى بناء إستراتيجية بحثية تعمل على إفراز قيم علمية ستكون فاعلة لا شك في المسار الإيجابي الذي سيؤول إليه البحث السيميائي مستقبلا،ويمكن أن نلاحظ أيضا أن الدراسات بقيت وفية للسيميائية الكلاسيكية ولم تأخذ في الحساب التطورات الجذرية ولهذا لا ينقص من الجهود التي بذلها الباحثون العرب في وسط رافض لهذا التوجه.

وقبل البدء في قراءة البحوث هذا ينبغي الإشارة إلى الدراسة الموسومة بمدخل إلى الدراسات السيميائية بالمغرب محاولة تركيبية للباحث محسن أعمار الذي حاول أن يقدم فكرة عن البحوث السيميائية في المغرب وعن الإنجازات العلمية الراهنة في الكتب المنشورة والدراسات الأكاديمية غير أنه لم يقتنف أثر كل دراسة بل اكتفى بتقديمها تقديما مختصرا لا يلقي فيه القارئ الطروقات الجوهرية بين الباحث والأخر» [1].

والتحولات العميقة التي يمكن أن نلمسها مثلا من خلال قراءتنا لكتابات الأستاذ " سعيد بن كراد" من أول كتاب"مدخل إلى السيميائية السردية"،إلى آخر دراسة لم تنشر بعد والموسومة بممكنات النص و محدودتيه المنهج التي يعرض فيها قراءة نقدية والطروحات المؤسسة لنظرية "عزيماس" وتمكن أهمية دراسة الباحث "محسن" أعمال في توجيه القارئ إلى الدارسات السيميائية الأساسية في المغرب وقواسمها المشتركة المتمثلة في:

- محاولة تقليص المسافة بين مفاهيم ومصطلحات مستمدة من سياقات مغايرة للثقافة العربية وبين معطيات النصوص الأدبية بمحاولتها اللغوية والثقافية.
- ضبط المفاهيم، وتدقيق المصطلحات وطرح النظرية قبل وضعها على محك التطبيق.
- نزوع الباحثين إلى اختبارات منهجية،و طروحات نظرية تضع القارئ أمام ترسانة هائلة،من المفاهيم والاجراءت غير المتداولة في لغته،وفي سياقه الثقافي،ويمكن أن تسحب هذه القواسم على الدراسات السيميائية العربية عموما[2].

أشرنا في بداية البحث إلى الدراسات السيميائية شهدت إعادة نظرية جذرية « بدأت في بداية التسعينات،ثم لم تلبث إلى أن توسعت،فما كان من البديهيات بالأسس أضحى

---

[1] –رشيد بن مالك،السيميائيات السردية، ص 25.

[2] –ينظر: نفسه، 25.

في الحقبة الأخيرة محل تساؤل وجدل،ولكنه جدل يهدف إلى صياغة حلول جديدة على نحو ما رأينا ذلك عند"كورتبس"،الذي تراجع عن إنجازات اعتبرناها من الثوابت خلال وقت مضى.

ولم تتوقع أبداً أنه يعيد فيها النظر فحصلت عملية قلب أعطت الصدارة في التحليل لمسألة التلفظ بوصفها فعلا محدث وصانعا للموضوع السيميائي و إزاء هذه الهزات العنيفة التي حدثت على الصعيدين النظري والتطبيقي،أفصت إلى ظهور سيميائية جديدة لجيل جديد».[1]

[1] رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص 26.

الفصل الثاني:

دراسة سيميائية لقصيدة المساء

1. سيميائية العنوان.
2. سيميائية المكان.
3. سيميائية الشخصيات.
4. سيميائية الزمان.

1- سيميائية العنوان:

إن العنوان هو العلامة اللغوية التي تتقدم النص و تعلوه، ويجد القارئ فيها ما يدعوه للقراءة و التأمل، ويطرح على نفسه أسئلة تتعلق بما هو آت والمبنى على ترسبات الماضي، ويضع لنفسه منها أفقا للتوقع إنه أشغال لا يغفل عنها دارس، و عتبة أما في رؤية الخطاب و على هذا الأساس تأتي حقول تفرض نفسها على القارئ، أولها يتعلق بالمفهوم و الثاني بالأهمية و الثالث بكيفية الدراسة[1].

وغالبا ما نجده أعلى النص تقديما للموضوع وتمهيدا له، كما يكون في أغلب الأحيان بخط غليظ، فهو أول ما يهتم به القارئ لأنه يجذبه للتمعن فيه قبل الشروع في قراءة النص، والعنوان أيضا بمثابة مرآة عاكسة لما يوجد داخل النص أو الخطاب، فكلاهما مرتبط بالآخر فقد يتحدد الأمر أكثر عند تحديد وتحليل القارئ بل وشرحه وتفكيكه للنص بالإضافة إلى تحديد العلاقة التي تربطها[2].

والشاعر خليل مطران عنون قصيدته بِلسم "المساء" فهل جاءت هذه التسمية اعتباطية، أو أن اختيار الشاعر للعنوان كان مطابقا مع النص؟.

يمدنا العنوان بزاد ثمين لتفكيك النص و قراءتة، فهو المفتاح الأهم، وهو المحور الذي يحدد هوية النص.

وإذا عدنا إلى عنوان قصيدة "المساء" فنجده سيميائيا اسم مفرد ومعرف بالألف واللام وهو خبر لمبتدأ محذوف، وهذا يدل على أن الشاعر لا يريد مساءا وإنما يقصد مساءا خاصا بيوم محدد أو بشخص محدد،ولكن السياق لا يشير إلى يوم محدد، « ويبين الاتجاه العام في دلالات النص الصراع بين عاطفتين تتنازعان مخيلة الشاعر ونسيج النص، الألم بسبب المرض، والألم بسبب هجران الحبيبة، وتجري الدلالتان في تيارين يتشابكان حينا ويتداخلان حينا إلى أن تهيمن عاطفة ألم الهجران على العاطفة الأولى، ثم تخفيها إخفاءا تاما من دلالات النص»[3].

وإن أهمية عنوان "المساء" سجلت واقعة هامة في الشعر العربي الحديث، وهي «أن الشعراء قد ابتدؤوا في مطلع هذا القرن بإطلاق أسماء على قصائدهم، وإن هذا الاسم

---

(1) ينظر: أحمد مداس، لسانيات النص، دار جدار الكتاب العالمي، ط1، 2007، ص40.

(2) ـ نفسه ، ص40.

(3) محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2001، ص 152.

"المساء" هو اسم رومانسي أخذوا يسمون قصائدهم بأسماء مثل "الغروب"،"الخريف"، "الأصيل"، "الدمع"،" الكآبة "[1].

كما يمكن تمثيل الدورة الدلالية لكلمة "المساء" في المربع السيميائي التالي:

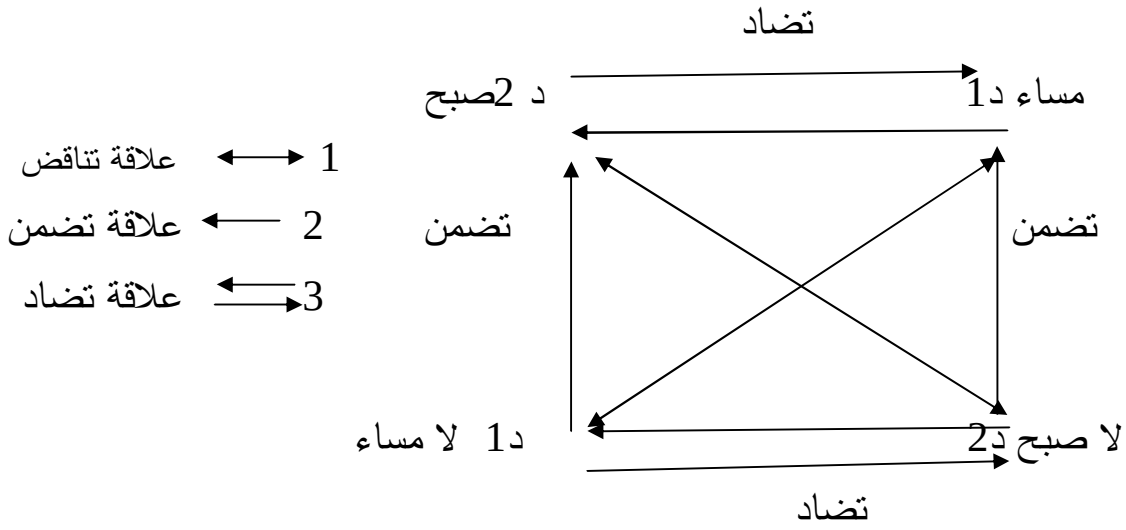

1/ تقوم علاقة التناقض على العلاقة بين (د1) و (د2) والعلاقة الثانية بين (د2) و (د1) إن عملية النفي هي التي تحقق الانتقال من (د1) إلى (د1).

2/ تربط علاقة التضمين (د2) و (1) وبين (د1) و (د2) فتتولد عملية النفي السابقة بتضمين نفي (د1) وتثبيت (د2).

3/ تقوم علاقة التضاد على تضاد بين (د1) و (د2)، (د1) و (د2).

2 . سيميائية المكان:

يطلق عليه الفضاء الجغرافي **L'espace geographique** مثلا في نظر البعض يقدم حدا أدنى من الإشارات الجغرافية التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل تحريك خيال القارئ، أو من أجل تحقيق استكشافات منهجية الأماكن[2].

« وحاول النقاد الغربيين التمييز بين المصطلحات التي عبرت عن المستويات المختلفة للمكان بحيث نجد في اللغة الإنجليزية الصيغ التالية:

S p a c e p l a c l o c a t l o n

أما في اللغة الفرنسية فنجد:

L i e u p l a c e e s p a c e

[1] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته و إبدلاتها، ص 152.
[2] ينظر: إيمان بقاعي، المتفق في تاريخ الأدب العربي ، دار الراتب الجامعية، بيروت، ط1، 2005، ص155.

أما في اللغة العربية فنجد "المكان، الموقع، الفراغ".

ولعل بوادر الاهتمام بالمكان بدأت مع ترجمة الناقد الروائي العراقي "غالب هالسا" لكتاب "جمالية المكان" "لغاستون باشلا"ر الذي يقول: «المكان الممسوك بواسطة الخيال لن يظل مكانا محايدا خاضعا لقياسات وتقسيم مساح الأراضي، لقد عيش فيه لا بشعل وضعي، بل بكل ما للخيال من تحيز، هو بشكل خاص في الغالب مركز اجتذاب دائم وذلك لأنه يركز الوجود في حدود تحميه»[1].

ونجده درس القيم الجمالية للأماكن التي نعيش فيها كذلك ما قدمه "يوري لوتمان غريماس"، الذي فضل استخدام مصطلح الحيز، « ولقد وردت عدة تعريفات للمكان باختلاف ميادين كل واحد منهم، فهناك من يرى أن "المكان" موضع وجمعه أمكنة وهو المحل المحدد الذي يشغله الجسم وهو مرادف للامتداد، بينما يرى الفلاسفة أن المكان هو الفراغ المتوهم الذي يشغله الجسم، بينما عند المحدثين وسط مثالي غير متداخل الأجسام المستقرة فيه، وله عند علماء الهندسة ثلاثة أبعاد، وعلى العموم فالمكان هو الموضع فقد يكون وطنا، أو مدينة، أو بيتا، أو قبوا، أو بحرا، غير أن المكان عند الشاعر ليس ذلك الموضع الساكن وإنما هو النابض بالحياة وإن كان ظللا لما فيه من ذكريات، تبعث في النفس و تثير الأشواق»[2].

فقسم « غالب هالسا المكان إلى:

أ . المكان المجازي: وهو المكان المفترض الذي ليس له وجود مؤكد وتكون صفات هذا المكان من النوع الذي ندركه ذهنيا لكننا لا نعيشه.

ب . المكان الهندسي: وهو المكان الذي تعرضه القصيدة من خلال وصف أبعاده الخارجية بدقة.

ج . المكان المعيش: وهو مكان التجربة المعيشة داخل العمل القصائدي القادر على إشارة ذكرى المكان عند القارئ، وهو مكان عاشه المؤلف وبعد أن ابتعد عنه أخذ يعيش فيه بالخيال.

---

(1) غاستون بشلار، جمالية المكان، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، ط3، 2000،ص227.

(2) سلمان كاصد، عالم النص، دار الكندي للنشر و التوزيع، ط1، 2003، ص130.

د . المكان المعادي: وهو المكان الذي تم تجسيده في الغربة، المنفى، ويتخذ هذا المكان صفة الأبوية بهرمية السلطة بداخله»[1].

ولقد جسد خليل مطران جملة من الأماكن في قصيدته نذكر منها:

البحر: وهو اللانهاية، والأم الكونية، والذات الكبرى والبحر الأعظم، وإنه بمثابة عالم آخر تحكمه قوانين خاصة به، وذكر البحر نظرا لنفسيته التي كانت بحاجة إلى الهدوء والسكينة، فاتخذ الطبيعة ملاذا له وأنيسا وبثها همومه وأحزانه، إذ اعتبرها كائن حي يتكلم ويحس، فالكوكب والبحر والصخرة هي مظاهر من الطبيعة استخدمها مطران من أجل هدف معين، وهو أن يخيم على نفسه الهدوء الروحي والجسدي، وإذا ضاقت به الكآبة والتفّرد والمعاناة وأصبحت نفسه هائجة هيجان البحر، ونفسه كدرة، ككدرية البرية ولم يجد أملا في شفائه إلا الطبيعية فنجده يخاطب البحر قائلا:

شاك إلى البحر اضطراب خواطري فيجيبني برياحــه الهوجـاء

والبحر خفاق الجوانـــب ضائــق كمد الصدر ساعة الإمساك.

فهو شخّص البحر وجعله شخصا يلجأ إليه ليفرغ همومه وأحزانه لعلّه يخفف عنه تلك الآلام والأحزان[2].

الغربة : وهي منفى الشاعر وفيها تراكمت الأحزان والآلام عليه وزاده شوقه وحنينه إلى مناطق بلاده، فكان وضعها يمتزج بالحزن والأسى ويفيض بالعطف والذكريات وهذا في قوله:

عبث طوافي في البلاد وعلة في علة منفاي لاستشفاء

متفـــــرد بصبابـتي متفـرد بكآبتـي متفرد بعنـــــائي.

وهنا يبين لنا أن الغربة زادت من حزنه وآلامه وزادت بنيران الشوق فهو يرد على أصحابه الذين أشاروا عليه بأن يغترب طلبا للشفاء والنسيان فهو يحثهم أن الغربة ليست المنفذ للاستشفاء إذا يبقى يعاني آلام الشوق والبعد وجاء هذا في قوله:

إني أقمت بالتعلـة بالمنـــــــــى في غربة قالوا: تكون دوائـي

إن يشف هذا الجسم طبيب هوائها أيلطّف النيران طبيب هـواء[3].

---

[1] ينظر: ديوان الحليل، نظم حليل مطران، ج1، ص 25.
[2] نفسه، ص 25.
[3] نفسه، ص 26.

البلد: إن الرابطة بين الشاعر وبلده رابطة قوية شبيهة برابطة الطفل بأمه الحنون، التي تعطف عليه وتمده بضروريات حياته « ولقد تغنى الشاعر ببلده الأم ويعود ذلك إلى حنينه الدائم، والشاعر كانت له ذكريات حاصلة وثيقة ببلده، فامتلأت نفسه حبا بطبيعتها،و كانت له ذكريات حلوة، تركزت في خياله، وامتزجت بعواطف، وبقي تأثيرها في أعماق نفسه على مر الأيام والأعوام، وعند تغربه عن بلاده زاد شوقه إليها وتعمق حزنه، فكان وصفه لمناطق يمتزج بالحزن والأسى، ويفيض بالعطف والذكريات[1].

3- سيميائية الشخصيات:

الشخصية مفهوم كلاسيكي يشمل مجموعة من الأطراف الفاعلة في النص السردي،مثل الممثل "ACTEUR"و الفاعل"AGANT" و العامل"AGENT" والعامل المساعد "ADJOINT".

هنا تمثل الشخصية ركنا أساسيات في الخطاب الشعري، لأنها المهمة التي سيتحدث عنها الشاعر،فقد تكون اسما لشخص ما، أو لشئ ما[2].

و الشاعر خليل مطران ذكر شخصيات في قصيدته:

فالأولى تتكلم،« وهي تسرد وتكشف وتروي وتتنبأ وهي التي تطرح الأسئلة وتتمثل في شخصية الشاعر دل عليها بضمير المتكلم،وهذا بداية من المقطع الأول في قوله:" داء ألم بي،شفائي،صبوتي، برحائي ،دمائي،حشاشتي،بكائي...." فنجد ضمير المتكلم في القصيدة وهذا لأن الشاعر يصف لنا حالته النفسية وما أصابه من أحزان وهموم فتنوع ضمير المتكلم في مقاطع القصيدة وهذا لتغير حالته النفسية ،وتحولها فنجده يخاطب البحر الذي شخصه وجعله شخصا يشكي له همومه ،لعله يخفف عنه ألامه بإعتبار البحر حامل الهموم ومستوعب للمصائب.

فشكى له خواطره وليس خواطره فحسب بل اضطراب خواطره ،ويقابل البحر هذا السؤال يحوابه الذي يجسده قول الشاعر:

"فيجبني برياحه الهوجاء"»[3].

---

[1] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث بنياته و ابدلاتها، ص 154.
[2] ينظر: بوعلي كحال، معجم مصطلحات السرد، ص 80.
[3] ديوان الخليل،نظم خليل مطران،ج1 ،ص 28.

أما الثانية هي شخصية صامتة غائبة، ولكن الأولى متكلمة في غيابها، فالشاعر يتحدث عن محبوبته وذكرها في جانبين جانب إيجابي وجانب سلبي فهي في المقطع الأول تسببت لعاشقها الوفي داء بهجرانها في قوله:

« قلب أذابته الصبابة والجوى وغلاته رثت من الأدواء

كما وظف النداء وهو دائما يخاطب المحبوبة في قوله:

يا كواكبا من يهتدي بضيائه يهديه طالح قبله ورياء

يامورداً يسقي الورود سرايه ظمأ إلى أن يهلكوا بضماء

يازهرة تحي روائع حسنها وتمت عاشقها بلا إرعاء»[1].

فالشاعر يلون تحول الشخصية الغائبة المتكلم عنها بألوانها المختلفة ويجعلها متعددة،« فالشاعر أسير الحب وهي الجمال،نفوده عواطفه ويسيره هواه ،وهذا ما تدل عليه هذه التعددات فهي نداءات توسلية داخلية نابعة من أعماق اللاشعوره وهذا يعني أن الذات المتكلمة تحتاج إلى إغاثة الذات الغائبة.

إن هذه الشخوص الإنسانية والطبيعية التي دخلت إلى خشية النص ذات دلالات رومانسية،وهي ذات فضاء رومانسي يخيم على النص، ويبني علاقات الشخوص بعضها ببعض من جهة ،وعلاقاتها بالمناخ والفضاء من جهة أخرى،فالفضاء مغلق على الحزن،مفتوح عل بوابة واحدة تقضي إلى الموت»[2].

4- سيميائية الزمان:

الزمن هو « أحد العناصر الأساسية في بناء القصص،إذا يستحيل علينا إيجاد فعل سردي معزول من الزمن لكنه يكتسب معاني مختلفة ولأنه يأخذ أبعاد أثنى في مختلف المجالات الاجتماعية والنفسية والعلمية.

وقد يستحيل انفصال المكان عن الزمان،فلابد عند أي عمل أدبي ،ذكر الزمان والمكان إذ هما محور الحياة ونسيجها ،فلا توجد أي قصة أو قصيدة أو أي عمل أدبي دون تحديد لمكانه أو زمانه»[3].

---

[1] محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، بنياته وابدالاتها، ص155.

[2] نفسه، ص155.

[3] أحمد حمد النعيمي، بقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2004،ص 87.

يقول حسام الألوسي:«الوجود هو الحياة و الحياة هي التغير والتغير هو الحركة والحركة هي الزمان فلا وجود إلا بالزمان» [1].

فالزمان إذن حلقة أساسية في التكوين الشعري،فلا وجود للأماكن والأحداث بمعزل عن العلاقة الزمانية.

كما يمكننا أن نميز بين نوعين من الزمان:

الزمان الفلكي الرياضي والزمان الوجداني، فالزمان الرياضي يدل على الوقف يقيس السنين أو الأيام أو الساعات ،ويتكون من ماضي وحاضر ومستقبل، أما الوجداني فهو أحيانا الداخلي بالزمن،فليس له وجود مادي محدود،وهو زمن مصبوغ بالانفعال وثمة من يسميه الزمن الفلسفي [2].

فتنوعت الأزمنة بدلاتها في القصيدة فنجد أفعال الماضي مسيطرة على القصيدة ،وذلك لأن الشاعر يصف لنا حالته النفسية،حيث جاء في قوله مثلا:"تضاعفت،أقمت أضعت غدوت...".

كما وظف أفعال المضارع في قوله في المقطع الثاني مخاطبا الحبيبة ويصفها في قوله " يهدي ،تحي ،تؤمن..."

ثم وظف أفعال المدح في قوله:

"نعم الضلالة ،ثم الشقاء،نعم الحياة"

فنجد أن الألم والشقاء خيم على حاضر الشاعر والألم النفسي حاضره[3].

هناك عدة دلالات زمنية أخرى أنا وهي:

الإمساء فهو يدل على التلاشي وهنا لفتة لعنوان النص" المساء" وجواب لماذا المساء؟ لأنه في ساعة المساء تزداد حالة الشاعر رفيقا لإحساسه بالغربة ،والتعب والمرض، وتلك المفارقة لأن المساء للراحة والاستجمام فصار دلالة على التعب الإرهاق والتلاشي.

الغروب وهو زوال النور وبداية الظلام ،فالغروب استخدمه " مطران" إذ يمثل الهدوء والاستقرار الجسدي إذ يقول:

---

(1) حسام الألوسي، الزمان في الفكر الديني و الفلسفي القديم، المؤسسة العربية للنشر، بيروت، ط1، 1980، ص 91.
(2) ينظر: نفسه، ص91.
(3) ينظر: ديوان خليل مطران، ج1، ص25.

« يا للغروب وما به من عبرة للمستهام وعبرة للرائي.

مسائي وهو زوال يوم الشاعر بالغروب وقرب المساء ورؤية نفسه في المرآة وما علاقة المرآة بالمساء.

فهي تخبره كيف هو حاله بعدما هدّه المرض،كما المساء الكئيب الذي ينقله للمرأة وهي تخبره ذلك،ومن تلك الحالة يكره الشاعر المساء ويحس تجاهه بالتعب أكثر من تعبه من مرضه،فكانت أحلامه بالخلاص مشروعة،إنه تعبان واشتياقه للخلاص»[1].

[1] ديوان الخليل، نظم خليل مطران ،ج1، ص26.

خاتمة

بعد أن حلقنا في سماء النقد الأدبي و تناولنا المنهج السيميائي و الذي يعد الأول بعد المنهج البنيوي .

فمن خلال انجازنا هذا البحث توصلنا إلى جملة من النتائج نذكر منها:

ـ إعطاء القارئ فكرة عن المنهج السيميائي من خلال تناول مفهومه عامة.

ـ تضارب الآراء حول السيميائية، وحول تسمياتها، فالمصطلحات الدالة على هذه النظرية كثيرة و متعددة، فند مثلا دي سوسير نسميها السيميولوجا،أما بيرس فيدعوها بالسيموتيك.

ـ موضوع السيميائية يدور حول المعنى للوصول إلى الفهم و التعرف على الدلالة و الرمز.

ـ التحليل السيميائي يكشف عن النظام العلاماتي.

ـ التحليل السيميائي يقوم على مبدأ المحايثة و مبدأ الاختلاف.

ـ المربع السيميائي الذي تحكمه مجموعة من العلاقات" التضمن، التضاد".

أما فيما يخص القصيدة، فقد كانت كلاّ متجاذب يتظافر فيه الشكل مع البنية الداخلية حيث تمكن الشاعر من رسمك لوحة فنية نتنلسبة الأجزاء، مفتوحة على العديد من التأويلات.

فكان العنوان مفتاحا أساسيا مكننا من التوغل في أعماق القصيدة ومحاولة فك رموزها وعلاماتها عن طريق اللغة البسيطة التي وظفها الشاعر.

ونظرا للاهتمامات المتنوعة و الحيوية الدائمة التي يتوفر عليها الباحث و التي نراها نقلة نوعية، و رؤى اجتهادية واعدة لابد أن تحتضنها بحوث و دراسات أكثر حجما، فما أنجزناه لا يزال مشروعا قابلا لكثير من التوسيع و التعديل.

ملحق: قصيدة "المساء"

داء الم فحلت فيه شـــفائـي من صبوتي فتضاعفت برحائـي
ياللضعيفين استبدا بـي مـا في الظلم مثل تحكم الضعفاء
قلب أذابته الصبابة والجوى وغلالة رثـــت مـــن الـأدواء
والروح بينهما نسيم تـنهـــد في حالي التصويب والصعداء
والعقل كالمصباح يغشى نوره كداري ويضعفه نضاوب دمائي
هذا الذي ابقيته يامنيتـــــــي من أضلعي وحشاشتي وذكائـــي
عمرين فيك اضعت لو أنصفتني لم يجدرا بتاسفي وبـكائـــــي
عمر الفتى الفاني وعمر مخلد ببيانه لولاك في الأحيـــــــاء
فغدوت لم أنعم كذي جهل ولم اغنم كذي عقل ضمان بقـــاء
ياكوكبا من يهتدي بضيائـــه يهديه طالع ضلة وريـــــاء
ياموردا يسقي الورود سرابـــه ضمأ إلى أن يهلكوا بظمـــــاء
يازهرة تحيي رواعي حسنهـــا وتميت ناشقها بلا إرعـــــــاء
هذا عتابك غير إني مخطـئ أيرام سعد في هوى حسنـــــاء؟
حاشاك بل كتب الشقاء على الورى والحب لم يبرح أحب شقـــاء
نعم الضلالة حيث تونس مقلتي أنوار تلك الطلعـة الزهـــــــراء
نعم الشفاء إذا رويت برشـــفة مكذوبة من وهم ذاك المـــــاء
نعم الحياة إذا قضيت بنشقـــة من طيب تلك الروضة الغنـــــاء
إني اقمت على التعلة بالمنـــى في غربة قالوا: تكون دوائـــي
إن يشف هذا الجسم طيب هوائها أيلطف النيران طيـــب هـــواء؟
أويمسك الحوباء حسن مقامـــها هل مسكة في البعـــد للحـوبـاء؟
عبث طوافي في البلاد وعلـــة في علة منـــفاي للاستـــــشفاء
متفرد بصبابتـــي،متفـــــرد بكآبتـــــي، متفـــــرد بعنـــائي
شاك إلى البحر اضطراب خواطري فيجيبنـــــي برياحه الهوجـــاء
ثاو على صخر أصم وليت لـي قلبـــــــاً كهذي الصخرة الصمـــاء

ينتابها موج كموج مكارهـــــي ويفتها كالسقـــــم في أعضـائـــي
والبحر خفاق الجوانب ضائـــــق كمداً كصـــــدري ساعــة الإمـســاء
تغشى البرية كدرة وكأنهـــــــا صعدت إلى عيني من أحشـائـــي
والأفق معتكر قريح جـــــفنـــه يغضي على الغمرات والاقـــــذاء
يا للغروب وما به من عبـــــرة للمستهام وعبرة للـرائـــــــي
أوليس نزعاً للنهاروصـــرعـــــة للشمس بين مأتم الأضـــواء؟
أوليس طمسًا لليقين ومبـعـثـــــا للشك بين غلائل الظلـــــمـــاء؟
أوليس محواً للوجود إلـــى مـــدىً وإبادةً لمعالـــم الأشـــــيـــــاء؟
حتى يكون النور تجديداً لـــهـــا ويكون شبه البعـــــث عود ذكـــاء
ولقد ذكرتك والنهار مـــــودع والقلب بين مهابـــــــة ورجـــــاء
وخواطري تبدو تجاه نـــواظـــري كلمى كدامية الســـحاب إزائـــي
والدمع من جفني يسيل مشعشـعـاً يبني الشعاع الغارب المترائـــــي
وشمس في شفق يسيل نـضـاره فوق العقيق على ذرى ســـــوداء
مرت خلال غمامـــتين تحـــدرًا فتقطرت كالدمعـــــة الحـمراء
فكأن أخر دمعة للكـــون قـد مزجت بأخر أدمعي لرثائـــــي
وكأنني انست يومـــي زائـــــلاً فرأيت في المرآة كيف مسائـــي[1].

[1] – ديوان الخليل، نظم خليل مطران، ج1، ص 17، 18، 19.

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

مقدمة.....05.

الفصل الأول: مدخل إلى السيميائية

1. المفهوم اللغوي و الاصطلاحي للسيميائية.....07.

2. مبادئ السيميائية و اتجاهاتها.....09.

3. المدارس السيميائية.....11.

4. السيميائية في النقد العربي.....12.

الفصل الثاني: دراسة سيميائية لقصيدة"المساء"

1. سيميائية العنوان.....16.

2. سيميائية المكان.....17.

3. سيميائية الشخصيات.....20.

4. سيميائية الزمان.....21.

خاتمة.....24.

ملحق: قصيدة المساء.....26.25.

قائمة المصادر و المراجع.....28.27

فهرس المحتويات.....30.29